حديث الالتزام

الأخ محمد إبراهيم بكّات

حيثما كان التزام هذا الدين فهو بحق دليل الإيمان به ، وحيثما انعدم هذا الالتزام فمعناه ادعاء باطل ، وكذب صراح ، وخيانة سافرة ، وإجرام في حقه ، وتنكر له ، وزهد فيه ، وفصل بين مبادئه وأحكامه ، وانفصام مفروض عليه بيْنه –وهو الدين المهجور– وبين المنتسبين إليه وهم في واقع كله زور .

وهجران هذا الدين والتخلي عنه واتهامه وتشويهه والاعتداء عليه وظلمه ، كل هذه المآخذ والعيوب ما أعظمهـــا من ذنوب ، كلها صدرت ممن يحسبون على الإسلام نتيجة سبب واحد وهو الهوى المتبع الضال الذي يضلل ويردي، وهذا الهوى الذي أدى إلى كل هذه الشرور والأخطار ويقوض صرح الإنسانية ويجعلها في جاهلية إنما يكمن خطـــره وضرره في كونه مخالفة لمنهج الله كلية واستغناءً صريحاً عن متابعة دين الله في الصغيرة والكبيرة مما أتى به ودعا إليـــه ، وأمر به ونهى عنه ، وحكم به وأقره ، وحلله وحرمه ، وهدى إليه دوماً ، منهج الإسلام هذا عبر عنه القرآن أصـــدق تعبير وأوضحه ودلّ عليه ودلّل :

﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ... ﴾ [الإسراء : ٩]

هذا القرآن من يؤمن به ويلتزمه لا يمكن أن يهديه إلاّ إلى الخير فيعيش بخير ويكون من مفاتيح الخير ، ويكون من أهل الدعوة لهذا الدين لأنه آمن بهذا القرآن وأخلص له واهتدى به وهدى غيره .

وكيف لا يبشر به والله يبشره وما أعظم تبشير الله له ! فهو تبشير كله صدق وحق وهو أصدق القائلين .

كيف بشر الله هذا المؤمن به وبقرآنه ؟ ولماذا هذا التبشير ؟

لأن هذا المؤمن تابعه ، ومتابعته هذه تجلّت في الإيمان وعمل الصالحات ، فعمل الصالحات من هدايـــة القـــرآن ، وهذه الحقيقة إنما هدانا إليها قول الله ولهذا قال يخاطب المؤمنين مباشرة بعدما أكد حقيقة هداية القرآن :

﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ... ﴾ [الإسراء : ٩]

قال سبحانه :

﴿ ... **وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء : ٩] فأعظم به من أجر كـــبير يبشر به الكبير المتعال ! ولماذا الالتزام ؟ ولِمَ التركيز عليه ؟ وهل له كل هذا الاهتمام ويستحقه على الدوام ؟

إيْ وربي ، لأنه نقطة الانطلاق من الأعماق .. أعماق هذا المسلم الملتزم المتدين بهذا الدين الذي ينطبق عليه قول رسول الإسلام : « ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمـــل »[1] . لـــذلك أن الالتـــزام إن لم يتجسم في المتدين بدين الحق فلا وجود له ولا أصل ، فالالتزام الحق قَعَّدَه هذا الدين وهو كله محاســـن وفـــضائل ، وبتوجيه منه وتعليم تظهر هذه المحاسن والفضائل على صعيد الواقع وتتحقق في باقي ميادين الحياة .

وكل دعوة للالتزام وكل داعية للالتزام إن لم يظهر سمو في دعوته أو لم يظهر عليه صلاح فدعوته انحطاط وادعاء وهو وسيلة شر

إنّ الالتزام الحق يجعل صاحبه ينطلق إلى آفاق الدنيا يدعو لدعوته في رفق وبصدق وتصير دعوته محببـــة للنـــاس تستقطب كل الناس لصفائها الواضح ولإخلاص صاحبها البين فيقبل عليها الناس لأنها برهنت على أنها حق وداعيها على حق مما يرغب الناس فيها فيحبب إليهم الإيمان ويزينه الله في قلوبهم ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان .

وهذه النتيجة الإيجابية ما هي في الحقيقة إلاّ بركة من بركات الإيمان ودليل على واقعية الإسلام وبرهـــان علـــى صدق الالتزام به ، فليت الناس من المتنكرين يعملون ليعرفوا هذه الحقيقة ، ويا ليت من لا يلتزم يدرك هذه الحقيقـــة ويعمل للوصول إليها واستشعارها ، وليت المحسوبين على الإسلام يعلمون بأن عدم اتباع دين الله وعدم التزامه يعتبر عبادة للهوى وعمالة للشيطان وطاعة للنفس الأمارة بالسوء ، ومتابعة صريحة للباطل وانسياقاً تاماً مع تيار الجاهلية . ولكن لم الكلام عن المتابعة والالتزام ؟ ولماذا التحذير والتخويف من انعدامهما ؟ ومن أين نتعرف عليهما في نصوص الدين ؟ وما هو النص بالضبط الذي يلقي الأضواء عليهما ؟

النص هو قول لرسول الله ﷺ ينفي كمال الإيمان وصدق الانتماء وصحة المتابعة ودوام الالتزام عن كل من يدعي أنه مسلم وواقعه يخالف هذا الادعاء ، فهو ادعاء كاذب وكذبه يتمثل في الانحراف الذي يعيش فيه هـــذا المـــسلم : انحراف في التصور والتحاكم ، انحراف في التوجيه والتعامل ، انحراف يقضي بتقبل كل ما هو جاهلي . ورســـول الله في هذا القول يشترط لكي نكون ملتزمين بألا نزيغ ، وهو اشتراط خطير يضع النقط على الحروف ولماذا اشترط بألا نزيغ ؟ حتى لا نكون أو نعد من صنف المسيَّرين ، التبعيين ، المقلدين ، الإمعة ، العملاء ، الخونة ، الأدعياء ،صـــدق رسول الله وهو الصادق المصدوق ، ماذا قال في هذا الصدد : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت بـــه ولا يزيغ عنه »(٢) وهو رسول الله الصادق في توجيهه المخلص في تعليمه يعلمنا ويوجهنا كيف نصمد وكيف نواجه وكيف نثبت على الحق وندوم ملتزمين بأن نصمد وكيف نواجه وكيف نثبت على الحق وندوم ملتزمين بأن نـــدعو كما كان يدعو ويردد ويكثر من ترديد هذا الدعاء بل هذين الدعاءين : « يَا مُقَلِّبَ الْقُلُـــوبِ ثَبِّـــتْ قَلْبِـــي عَلَـــى

دِينِكَ .. » رواه الترمذي ، « .. يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ » رواه أحمد ، يا رب ونحن نختتم الكلام عن حديث رسول الله ﷺ في الالتزام ندعوك كما دعاك السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان وهم أساتذة الالتزام وأهله : ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران : ٨]

---

(١) أورده البخاري في تاريخه وتتمته : (وإن قوماً غرهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

(٢) رواه البخاري بإسناد صحيح والشيخ أبو الفتح المقدسي في كتاب (الحجة على تارك المحجة) والحافظ أبو نعيم في (الأربعين) ورواه الطبراني بزيادة (ولا يزيغ عنه) .